

تفريغ
دورة



مختصر منهاج القاصدين

ربع المملكات



www.abobakrelkady.net

abobakrelkady AboBakr Elkady

لابن علامة القدي

السلام عليكم ورحمة الله

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ثم أما بعد:
فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل
محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ثم أما بعد:

نستكمل ما بدأناه من كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة -رحمه الله تعالى-، ولا زلنا في ربع
المهلكات والكلام على سوء الخلق وحسن الخلق، والكلام عن أمراض القلب وكيف يعود القلب إلى
صحته.

قال: "فمن أراد الوقوف على عيب نفسه فله في ذلك أربع طرق:

الطريقة الأولى: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس يعرفه عيوب نفسه وطريق علاجها، وهذا
قد عز في هذا الزمان وجوده، فمن وقع به فقد وقع بالطبيب الحاذق فلا ينبغي أن يفارقه".

• وهذا الأمر فعلاً أصبح نادر الوجود -وإن كان موجوداً- ولكنه نادر الوجود.

والإنسان ينبغي عليه أن يحرص على وجود شيخ يدلّه على الطريق إلى الله عزوجل، فإن الشيخ يختصر
لك العمر ويسدّد لك الفهم ويؤدّبك، فيختصر لك مسافات بينية هو قد جربها، ويعطيك خلاصة هذه
التجارب.

"وأفضل شيء أن يكون ذو بصيرة وذو فراسة يستطيع أن يكتشف نقاط قوتك ونقاط ضعفك، ولا هنالك شبهة للمنافسة، ولا هنالك شبهة للحسد؛ لأنكم لستم أقران فيكون النقد موضوعي وتكون النصيحة صادقة".

وهذا إن لم يتوفر **الطريقة الثانية**: أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا، وينصبه رقيبًا على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله.

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: "رحم الله امرءاً أهدي إلينا عيوبنا".
وسأل سلمان -رضى الله عنه- لما قدم عليه من عيوبه، فقال: "سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة، وأن لك حلتين: حلة بالليل، وحلة بالنهار، فقال: هل بلغك غير هذا؟ قال: لا، قال: أما هذا فقد كفيتهما".

• يعني حين ذكر له سلمان هذا الأمر وأنه قد جرى حلتين وإدامين وغير ذلك، فأوضح له ذلك عمر وقال: "أما هذان فقد كفيتهما" أي هذان لك عندي رد عليهما.

وكان عمر رضى الله عنه يسأل حذيفة: "هل أنا من المنافقين؟"؛ وهذا لأن كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه، إلا أنه عز في هذا الزمان وجود صديق على هذه الصفة؛ لأنه قل في الأصدقاء من يترك المداهنة، فيخبر بالعيب أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب.

أي أنه يكون ناصح لا يكون مدهن، يعني أكثر الناس تدهن وتجامل في زمن المجاملات الاجتماعية وغير ذلك، يدهن ويكذب في الحقيقة، ولا يصارح -مع أن الموضوع هنا موضع مصارحة-، أو يترك الحسد فلا ينتهز الفرصة لكي يحطمه أو يكسر مجاديفه، لا ولكن يكتفي على القدر الواجب الذي يوصل إليه الحق.

وقد كان السلف يحبون من ينههم على عيوبهم، ونحن الآن -في الغالب- أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا؛ لقلّة الصّدق.

فإذا صدق الإنسان ربه تبارك وتعالى؛ أحب من أهدى إليه عيوبه ليستدرك ما فاتته، وليستدرك ما نقص منه ويدرك هذا الأمر ويقومه.

قال: "وهذا دليل على ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة كالعقارب، لو أن منبهاً نهينا على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً لتقلدنا له منة، واشتغلنا بقتلها. والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب على ما لا يخفى".

قال: "**الطريقة الثالثة**: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدي المساوي، وانتفاع الإنسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه، أكثر من انتفاعه بصديق مدهن يخفى عنه عيوبه.

الطريقة الرابعة: أن يخالط الناس، فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم، يجتنبه.

❖ فصل [في شهوات النفوس]

وقد ذكرنا أن شهوات النفوس لم توضع إلا لفائدة، إذ لولا شهوة المطعم ما حصل تناول الغذاء، ولولا شهوة الجماع لانقطع النسل.

وإنما المذموم: فضول الشهوات وطغيانها، وثمة قوم لم يفهموا هذا القدر.

• الذي يريد قوله في هذا الفصل:- أنه لا ينبغي استئصال الشهوة، وإنما تقويمها وتهذيبها على مقتضى الشرع.

قال: "فأخذوا يتركون كل ما تشتهيه النفس، وهذا ظلم لها بإسقاط حقمها، فإن لها حقًا بدليل قوله ﷺ: "إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" [صحيح الترمذي].

حتى إن قائلًا منهم يقول: "لي كذا وكذا سنة اشتهي كذا فلا أتناوله"، وهذا انحراف عن الحلّ وخلاف سنة رسول الله ﷺ، فإنه كان يتناول المشتهى من الحلو والعسل وغيرهما، فلا يلتفت إلى زاهد قل علمه، فحرم نفسه حظها من المشتهى على الإطلاق، فإنه إلى الظلم أقرب منه إلى العدل، وإنما يترك المشتهى إذا صعبت الطريق إليه، مثل أن لا يحصل إلا بوجه مكروه، أو يخاف من تناوله انحلال عزمه، فتطمع النفس في استدامته، أو يحذر من ذلك زيادة شبع، فيثقله عن عبادته.

فأما تناوله في بعض الأوقات لتقوية النفس، فذلك كالطب للمريض، يمدح ولا يذم، ولا بأس بالرفق بالنفس لتقوى على السلوك.

ولكن قلنا هذا في حدود الوسط، وهذا الكلام لا يقال لمن هو مسرف في الشهوات لأنه قد يتخذة التكاأة وقد يتخذة مبررًا للإسراف، لكن المسرف لا يقال له توسط وإنما نشدد عليه حتى تتوازن النفس.

فإذا شدد على نفسه بعض الشيء، أذكر له أمر التوسط؛ وهذا من فراسة الواعظ ومن فراسة الشيخ بعيب مريده أو بعيب السالك على يديه الذي يدل على الله عزوجل".

يبحث أين العيب والإسراف أين؟ في عدم التوسط والإقتار؟ ولا في الإسراف في الغلو ولا في الجفاء؟ في الإفراط ولا في التفريط؟ في الجهل أم في الغي إلى غير ذلك.

قال: بيان علامات حسن الخلق.

قال: "ربماجاهد المرید نفسه حتى ترك الفواحش والمعاصي، ثم ظن أنه قد هذب خلقه".

وهذه هي الأزمة الكبيرة؛ لأنه ظن بترك المعاصي الظاهرة أنه بهذا التزم وأنه أصبح شيخاً وأصبح أخ والبقية ليس بأخوة، لا فإنما المؤمنون كلهم أخوة، طالما ثبت الإيمان فهو أخ.

ويطلق هذا على كل من التحى وأنه غير هذا ينقص دينه لأنه غير ملتحي ولا يترك المعاصي الظاهرة.

هذا كلام سليم، ولكن أيضاً يطلق الأخ حتى وإن لم يترك المعاصي الباطنة التي تؤدي إلى الأخلاق السيئة، فهو مقصر وناقص، فلا يبرر له أخطائه لأنه أخ.

وهذا القول أصلاً وهذا اللقب أصلاً ينفر الناس وكأننا نقسم الناس إلى عوام وإلى خواص وإلى خواص الخواص، لا فالكل مسلمين والكل إن شاء الله مؤمنين.

ومن يتسنن ويلتحي؛ فإنه قد زاد في من الشعائر أو في شعبة من شعب الإيمان وليس قد أخذ أو قد صك له صك الغفران أو صك من صكوك الجنة، فالتوازن عباد الله!

"ثم ظن أنه قد هذب خلقه، واستغنى عن المجاهدة -وليس كذلك-، فإن حسن الخلق هو مجموع صفات المؤمنين، وقد وصفهم الله تعالى فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال: ٢-٤]

- وقال تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: ١١٢].
- وقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} إلى قوله {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون: ١- ١٠].
- وقال: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣].

لو توجد آيات حريّة بأن تُتَدَبَّر؛ فهذه الآيات -لا سيما أيضًا خواتيم سورة آل عمران الآيات التي فيها صفات أولى الألباب، صفات عباد الرحمن، صفات المؤمنين، صفات التائبين، صفات المتقين، التي أيضًا في سورة آل عمران: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣].

ماذا يعني تدبر؟

- يعني ترى هذه الصفات ونستخرجها في دفتر ونقف مع أنفسنا في كل صفة صفة، ونتخلق بها صفة صفة حتى نترين بها جميعًا ليوم القيامة.

قال: "إلى آخر السورة، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون البعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بحفظ ما وجدته وتحصيل ما فقده.

وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة، وأشار بها إلى محاسن الأخلاق.

ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " [صحيح البخاري].

وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ " [صحيح البخاري].

وفي حديث آخر: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا " [صحيح الترمذي].

ومن حسن الخلق: احتمال الأذى، ففي الصحيحين أن أعرابيًا جذب رداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أثرت حاشيته في عاتقه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: " يَا مُحَمَّدُ، مُزِي مِنْ مَالِ اللَّهِ
الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ " [صحيح
البخاري].

وكان إذا آذاه قومه قال: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " [صحيح البخاري].

وكان أويس القرني إذا رماه الصبيان بالحجارة يقول: " يا إخوانه، إن كان ولا بد، فارموني بالصغار لئلا
تدموا ساقى فتمعنوني من الصلاة ".

وخرج إبراهيم بن أدهم إلى بعض البوادي، فاستقبله جندي فقال: " أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة،
فضرب رأسه فشجه، فلما أخبر أنه إبراهيم، جعل يقبل يده ورجله ".

أي أن الرجل يسأل إبراهيم بن أدهم: أين العمران؟ فأبراهيم بن أدهم أجاب له إجابة معناها الزهد في الدنيا لأن العمران مآله إلى المقبرة.

أي خزنة الرجال المقبرة، وخزنة الأموال المزيلة؛ لأن هذا هو نتاج المآكل والمشرب، فضرب رأسه فشجه لأن الرجل لم يفهم.

فلما أخبر أنه إبراهيم، جعل يقبل يده ورجله، فقال: إنه لما ضرب رأسي سألت الله له الجنة، لأنني علمت أني أوجر بضربه إياي فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير، ونصيبه مني الشر.

واجتاز بعضهم في سكة، فطرح عليه رماد من السطح، فجعل أصحابه يتكلمون. فقال: من استحق النار فصولح على الرماد، ينبغي له أن لا يغضب.

طبعًا فحين النفوس تُذَلُّ لله عزوجل وتتواضع وتنكسر بين يدي الله وتتواضع للخلق، تجد أمر تحسين الخلق أمر هين، فضلًا عن أنه يكون حسن الخلق أصلًا، لكن حتى ولو كان فيه بعض الطبائع التي تنافي دين الإسلام فإنه سهل هين أن يتقوم وأن يتهدب.

قال: "فهذه نفوس ذللت بالرياضة؛ فاعتدلت أخلاقهم، ونقيت عن الغش بواطنها، فأثمرت الرضى بالقضاء. ومن لم يجد من نفسه بعض هذه العلامات التي وجدها هؤلاء، فينبغي أن يداوم الرياضة ليصل، فإنه بعد ما وصل".

أنا أقول لكم: كل إشكاليات سوء الأخلاق وعدم تقويمها في وجود النفس الأمارة بالسوء وفي استحكام سلطان النفس على القلب، فيصبح القلب أمار بالسوء، كما قال ابن القيم، وكما قال أيضًا: "النفس جبل شاق في طريق السائرين إلى الله".

لن تصل إلى الله إلا حين تجتاز هذا الجبل، وهذا لا يكون إلا بالانكسار والافتقار بين يدي الله تبارك وتعالى.

❖ [فصل في رياضة الصبيان في أول النشوء]

"اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش. فإن عود الخير نشأ عليه وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عود الشر نشأ عليه، وكان الوزر في عنق وليه.

فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعودُه التنعم، ولا يحبب إليه أسباب الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر".

• كل ذلك مسؤولية الأب، إذ أن الأب لا بد أن يكون متربي.

الأب الأول لا بد أن يكون متربي، ولا بد أن يكون عنده وعي تربوي، و"محو الأمية التربوية" للشيخ/ محمد إسماعيل -حفظه الله- مهم جدًا للأبوان أن يسمعه، و"أولادنا هم الورقة الرابعة" لمحمد راتب النابلسي من الكتب الجيدة أيضًا في التربية.

قال: "بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره، فلا يشتغل في رضاعته وحضانتها إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا بدت فيه مخايل التمييز وأولها الحياء، وذلك علامة النجابة وهي مبشرة بكمال العقل عند البلوغ، فهذا يستعان على تأديبه بحيائه".

وأول ما يغلب عليه من الصفات: شره الطعام، فينبغي أن يعلم آداب الأكل، ويعوده أكل الخبز وحده في بعض الأوقات؛ لئلا يألف الإدام فيراه كالحتم، ويقبح عنده كثرة الأكل، بأن يشبه الكثير الأكل بالبهائم. ويحبب إليه الثياب البيض دون الملونة والإبرسيم -صبغة كرهها الرسول صلى الله عليه وسلم- ويقرر عنده أن ذلك من شأن النساء والمخنثين.

ويمنعه من مخالطة الصبيان الذين عودوا التنعم، ثم يشغله في المكتب بتعلم القرآن والحديث، وأحاديث الأخبار؛ ليغرس في قلبه حب الصالحين، ولا يحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق -ومنها الأغاني-.

ومتى ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود -وهذه مراقبة من الوالدين- فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس. فإن خالف ذلك في بعض الأحوال تغوفل عنه ولا يكشف، فإن عاد عوتب سرًا وخوف من اطلاع الناس عليه، ولا يكثر عليه العتاب؛ لأن ذلك يهون عليه سماع الملامة، وليكن حافظًا هيبة الكلام معه".

● لا بد للكلام معه أن يكون بقدر حتى لا يهون عند الولد الكلام.

قال: "وينبغي للأُم أن تخوفه بالأب، وينبغي أن يمنع النوم نهارًا؛ فإنه يورث الكسل، ولا يمنع النوم ليلاً ولكنه يمنع الفرش الوطيئة لتتصلب أعضاؤه، ويتعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم. ويعود المشي والحركة والرياضة لئلا يغلب عليه الكسل، ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبواه، أو بمطعمه أو ملبسه، ويعود التواضع والإكرام لمن يعاشره.

ويمنع أن يأخذ شيئاً من صبي مثله، ويعلم أن الأخذ دناءة، وأن الرفعة في العطاء، ويقبح عنده حب الذهب والفضة، ويعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط، ولا يتشاءب بحضرة غيره، ولا يضع رجلا على رجل، ويمنع من كثرة الكلام.

ويعود أن لا يتكلم إلا جواباً، وأن يحسن الاستماع إذا تكلم غيره ممن هو أكبر منه، وأن يقوم لمن هو فوقه ويجلس بين يديه، ويمنع من فحش الكلام، ومن مخالطة من يفعل ذلك، فإن أصل حفظ الصبيان حفظهم من قرناء السوء.

ويحسن أن يفسح له بعد خروجه من المكتب في لعب جميل، ليستريح به من تعب التأديب، كما قيل: "روح القلوب تع الذكر".

● طبعاً سياسة الثواب والعقاب قائمة في كل هذا.

وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه وتعظيمهم، وإذا بلغ سبع سنين أمر بالصلاة، ولم يسامح في ترك الطهارة ليتعود، ويخوف من الكذب والخيانة، وإذا قارب البلوغ، ألقيت إليه الأمور.

واعلم: أن الأطعمة أدوية، والمقصود منها تقوية البدن على طاعة الله تعالى، وأن الدنيا لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وهو منتظر في كل ساعة، وأن العاقل من تزود لآخرته، فإن كان نشوؤه صالحاً ثبت هذا في قلبه.

من ثبت نبت، هو حين يثبت والثبات يأتي من غراس هذا الحق في قلبه ينبت وينمو نموًا طبيعيًا على هذا ينشأ في طاعة الله كما يثبت النقش في الحجر.

قال سهل بن عبد الله: "كنت ابن ثلاث سنين، وأنا أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوته.

فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري، ثم قال لي خالي: يا سهل من كان الله معه، وهو ناظر إليه، وشاهد عليه، هل يعصيه؟ إياك والمعصية ومضيت إلى المكتب، وحفظت القرآن، وأنا ابن ست سنين أو سبع، ثم كنت أصوم الدهر، وقوتي من خبز الشعير، ثم بعد لك كنت أقوم الليل كله".

● كل هذا من قدوته في خاله.

فالقُدوة هي أهم شيء في التربية، والمصداقية أن الأب يقول ما يفعل، الأم تقول ما تفعل، وهذا طبعاً موطن تربية الأولاد له أهله وله كتبه وليس هذا موطنه ولكن هذا مرور سريع.

❖ قال: فصل: [في شروط الرياضة]

واعلم: أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين، أصبح بالضرورة مريدًا لها، زاهدًا في الدنيا. فإن من كان معه خרزة، فرأى جوهرة نفيسة، لم يبق له رغبة في الخرزة، فإذا قيل له: بعها بالجوهرة، أسرع في ذلك.

واعلم: أن من رزقه الله تعالى الانتباه لذلك، فإن عليه لسلوك الرياضة شرطاً لا بد من تقديمه، ومعتصماً لا بد من التمسك به، وحصناً لا بد من التحصن به.

فأما الشرط: فهو رفع الحجاب بترك الذنوب.

قال تعالى: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين: ١٤] فالذنوب حجاب.

وأما المعتصم: فشيخ يدلّه على الطريق لئلا تختطفه الشياطين في السبل.

- وطبعًا هذا الشيخ لا بد أن يكون عالمًا ربانيًا، عالمًا بالحلال والحرام، عالمًا بالله، عالمًا بأمر الله، عنده حكمة، مقتفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنقاديًا للحق غير معجب بنفسه، غير طالب الرئاسة وللدنيا ولحظ نفسه، صاحب أمانة ناصح، يعلم يقصد بتعليمه وجه الله متخلق بأخلاق القرآن.

- طبعًا كتاب "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر كتاب جامع، فيه صفات العالم والمتعلم، وأيضًا الإمام النووي في مقدمة المجموع "آداب المعلم" أيضًا وضع فيها آدابًا عظيمة.

قال: "وأما الحصن: فالخلوة، وعليه من الوظائف مخالفة الهوى، وكثرة الذكر، والاقتصاد في الأوراد- أي التوسط كي يستطيع أن يداوم- فليست العبرة بالكثرة، ولكن العبرة بالمداومة والكيف والجودة والإحسان".

قال: "ومنتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله أبدًا، ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره، ولا يخلو إلا بطول المجاهد".

- أن يخلو قلبه من غير الله، ولا يخلو إلا بطول المجاهدة.

فقد قيل جاهد تشاهد، جاهد هواك تشاهد ربك بقلبك.

فهذا منهاج رياضة المرید وترتيبه في التدریج، فأما تفصیل الرياضة في كل صفة، سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

نستكمل ما بدأناه من كتاب "مختصر منهاج القاصدين"، ولا نزال في ريع المهلكات، ووصلنا إلى كتاب كسر الشهوتين: شهوة البطن، وشهوة الفرج.

قال: "شهوة البطن من أعظم المهلكات، وبها أخرج آدم- عليه السلام من الجنة.

ومن شهوة البطن تحدث شهوة الفرج والرغبة في المال، ويتبع ذلك آفات كثيرة كلها من بطر الشعب.

وفي الحديث أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء" [صحيح البخاري].

وفي حديث آخر: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" [صحيح الترمذي].

قال عقبة الراسبي: "دخلت على الحسن وهو يتغدى، فقال: هلم، قال: أكلت حتى لا أستطيع أن أكل. فقال: سبحان الله! أو يأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل!

وقد بالغ جماعة من الزهاد في التقلل من الأكل والصبر على الجوع، وقد بينا عيب ما سلكوا في غير هذا الكتاب، ولكن الأصل هو التوسط في هذا.

التوسط: عدم التقطير، وعدم الإسراف.

وفي الوقت الحالي بعض الناس يكون الثغرة إلى قلوبهم، الثغرة في تضييع الأوراد، وتضييع ما يسيرون، ويتغذون به في قلوبهم وأرواحهم هو بطونهم، فينبغي أن تلجم هذه الشهوة من خلال الصيام المشروع.

هذا أفضل ما يقوم به الإنسان، وتقوم هذه الشهوة: الصيام المشروع، صيام يوم ويوم، صيام الإثنين والخميس، ثلاثة أيام من كل شهر، صيام العشر من ذي الحجة، صيام شهر الله المحرم ويوم عاشوراء إلى غير ذلك من أنواع الصيام المشروع المستحب، فضلاً عن الواجب. فالصوم يكسر هذه الشهوة -شهوة البطن وشهوة الفرج-.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ** " [صحيح البخاري].

وكما قال - صلى الله عليه وسلم -: " **الصَّيَّامُ جُنَّةٌ** " [صحيح البخاري].

جنة: حصينة من النار، ومن الشهوات التي حفت بها النار.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: " **عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ** " [صحيح النسائي]. أي: لا مثيل له.

وفي نفس الوقت حين يأكل الإنسان ينبغي عليه حين يفطر ويأكل ويأتيه موعد الطعام ألا ينبغي عليه أن يتفنن في ألوان الطعام؛ بل يأكل الموجود، وليس هذا عيباً لمن يطلب صنفاً مثلاً يريد أن يأكله فلا يوجد إشكال ولكن هذا الأمر لا يكون معتاداً.

لا تكون عادة يتعلق بها قلبه بحيث أنه إن لم يوجد هذا؛ فإنه يفسد عليه حاله، يفسد عليه علاقته بالله، يتسخط إلى غير ذلك.

قال: "وقد بينا عيب هذا السلوك في غير هذا الكتاب. ومقام العدل في الأكل رفع اليد مع بقاء شيء من الشهوة".

وهذا طبيياً أيضاً؛ لأنه إن ملأ حتى التخمّة؛ فإن هذا مضر.

ونهاية المقام الحسن قوله -صلى الله عليه وسلم-: " **فُتِلْتُ لَطْعَامِهِ وَتُلْتُ لَشْرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ** " [صحيح الترمذي].

- فلا ينبغي أن يأكل إلى درجة أنه حين يريد أن يتكلم لا يعرف يتكلم، غير قادر وصوته مكتوم؛ هذا إسراف.

قال: "فالأكل في مقام العدل يصح البدن، وينفي المرض، وذلك ألا يتناول الطعام حتى يشتهي، ثم يرفع يده وهو يشتهي".

- يعني لا يأكل وهو شبعان، يعني نقنقة؛ كل هذا طبيياً فضلاً عنه شرعاً مرفوض.

قال: "ثم يرفع يده وهو يشتهي، والدوام على التقلل من الطعام يضعف القوى".

فليس الأصل أن تتقلل تمامًا؛ لأن هذا سيضعف قوتك، وقد يصيبك بالأنيميا وغير ذلك.

وقد قلل أقوام مطاعمهم حتى قصّروا عن الفرائض، وظنوا بجهلهم أن ذلك فضيلة وليس كذلك، ومدح الجوع، فإنما أشار إلى الحالة المتوسطة التي ذكرناها.

وطريق رياضة الإنسان: وهو تقويم نفسه وقلبه في سبيل الوصول إلى الله، وطريق رياضة في كسر شهوة البطن أن من تعود استدامة الشبع؛ فينبغي له أن يقلل من مطعمه يسيرًا يسيرًا مع الزمان .

● وهذه هي أصل في تربية النفس وهو التدرج، وأن الإنسان ليس من مرة واحدة سيكون زاهد عابد، قوام صوام، شكار ذكار.

وهذا الذي يحصل مع الناس حين تقرأ سير السلف، حين يقرأون سير السلف يظنون وتأخذهم الحماسة: أنا أريد أن أصبح مثل إبراهيم بن أدهم ، أريد أن أصبح مثل الفضيل بن عياض، أريد أن أكون مثل وكيع بن الجراح ، أريد أن أكون مثل سعيد بن المسيب، مثل مسروق بن الأجدع.

ويظنون أن الأمر جاء هكذا، أو الأمر يأتي مرة واحدة هكذا، بل لا، الأمر بالتدرج .

فالمشاهد التي تروى لنا في التراجم هذه مشاهد بذلت فيها أعمازًا كبيرة ، هذه إنجازات هائلة من ترسض ومن قهر الشهوات، ومن مجاهدة النفس، ومن الترقى من الواجبات إلى المستحبات، ومن طلب العلم وتطبيقه؛ فلا بد من التدرج.

● وهذه حقيقة الريانية: أن نأخذ بصغار العلم قبل كباره.

كما قال ابن عباس- رضي الله عنه:- وهذا ليس فقط في العلم؛ بل بالعمل، والدعوة إلى الله -
تبارك وتعالى-، فالغلو والتنطع يؤدي إلى الانتكاس "

● ينبغي أن تكون طويل النفس في الصبر على النفس وفي منعها عن الشهوات هذا أمر مهم جداً.

قال: "وطريق الرياضة في كسر شهوة البطن أن من تعود استدامة الشبع؛ فينبغي له أن يقلل من
مطعمه يسيراً يسيراً مع الزمان إلى أن يقف على التوسط الذي أشرنا إليه.

وخير الأمور أوسطها، فالأولى تناول ما لا يمنع من العبادة، ويكون سبب لبقاء القوة، فلا يحس المتناول
بجوع ولا شبع، فحينئذ يصح البدن، ويجتمع الهمم، ويصفو الفكر.

ومتى زاد في الأكل أورثه النوم وبلادة الدهن، وذلك بتكثير البخار في الدماغ حتى يغطي مكان الفكر
وموضع الذكر، ويجلب أمراضاً أخرى. ولذلك إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت
الأعضاء عن الخدمة".

● وقال أحد السلف: "لا تأكلوا كثيراً؛ فتشربوا كثيراً؛ فتناموا كثيراً؛ فتخسروا كثيراً".

وليحذر من ترك شيئاً من الشهوات أن يتطرق إليه آفة الرياء، وقد كان بعضهم يشتري الشهوة ويعلقها
في بيته وهو زاهد فيها يستر بها زهده، وهذا هو الزهد في الزهد بإظهار ضده، وهو عمل الصديقين؛ لأنه
يجرع نفسه كأس الصبر مرتين والثانية أمر.

ولا داعي لكل هذا، إذا سقط من قلبه منزلة الناس، فإنه لا يلتفت ولا إلى ذمهم ولا إلى مدحهم ولا إلى أصلاً رؤيتهم، فهو لن يستر شيئاً ولن يظهر شيئاً، سينطلق إلى الله - عز وجل - بلا التفات عنه إلى غيره.

قال: "وأما شهوة الفرج: فاعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الآدمي الفائدتين:
أحدهما: بقاء النسل.

والثانية: ليدرك لذة يقيس عليها لذات الآخرة.

● فإن لم يدرك جنسه بالذوق، لا يعظم إليه الشوق.

يعني إن لم تتطرق إليك فكرة أن الجنة فيها لذات، فاللذة بالنسبة لك تفسر بين الطعام والشراب والفرج في الدنيا هذا يدرك جنسه؛ لتشتاق إلى ما هو أعظم منه وهو لذات الآخرة.

فلذات الدنيا منغصة، مكدره، مؤقتة. فحين أقول لك مثل هذه لذة أضعاف مضاعفة وأبدية وغير مكدره ولا منغصة ولا يتطرق إليها نجس ولا غير ذلك، ولا حدث ولا غير ذلك؛ فهذا أمر يعظم الشوق إليه.

إلا أنه إذا لم ترد هذه الشهوة إلى الاعتدال؛ جلبت آفات كثيرة، وهذا الذي يريدون أن يعيشوننا فيه أعداؤنا وهو أننا كائنات بيولوجية، كل شيء جنس، كل شيء يدخل فيها الجنس، كل شيء إعلانات، أفلام، مسلسلات، وبرامج كل شيء.

الجنس هذا كأنه هو العظمة التي يستدر بها الكلب ويستدرج -نسأل الله العفو والعافية-.

لا ينبغي للإنسان أن يكون حاكم على شهوته، فهو إنسان وليس بهيمة تساق، هم يستدرجوننا لكل أراذل الأخلاق من خلال الشهوة الجنسية.

قال: "ولولا ذلك ما كان النساء حبائل الشيطان.

- وفي الحديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم -قال: " ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " [صحيح البخاري].
- وقال أحد الصالحين: "لو ائتمني رجل على بيت مال، لظننت أني مؤدي الأمانة إليه، ولو ائتمني على زنجية أخلو بها ساعة واحدة ما ائتمنت على نفسي عليها "
- وعن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " لا يَخْلُونَ رَجُلٌ بامرأةٍ لا تَحِلُّ له؛ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، إِلَّا بِمَحْرَمٍ " [فتح الغفار].

"وقد ينتهي الإفراط في هذه الشهوة حتى تصرف همة الرجل إلى كثرة التمتع بالنساء؛ فيشغله عن ذكر الآخرة، وربما آل الفواحش، وقد تنتهي بصاحبها إلى العشق وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحى منها، وقد يقع عند كثير من الناس عشق المال والجاه واللعب بالنرد والشطرنج والطنبور وغير ذلك".

• الطنبور: الذي يلعب به هو "العود".

"وغير ذلك، فتستولي هذه الأشياء على القلوب فلا يصبرون عنها، ويسهل الاحتراز عن ذلك في بدايات الأمور".

فهذا أيضًا موضوع مهم جدًا: ألا تترك نفسك حتى تغرق، وتستغرق تمامًا في غمرات الشهوات ثم بعد ذلك تريد أن تخرج!

العبرة: أنك لا تتبع خطوات الشيطان، لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولا تحقرن من الخطايا شيئًا، ولا من الصغائر فإن آخرها يحتاج علاج شديد، وبالذات العشق.

يعني العشق مرض يصل بالعبد والإنسان إلى الجنون إن لم يتداركه في أوله: بغض البصر، عدم الاختلاط المحرم إلى غير ذلك، هذا يحفظ عليك قلبك، فالعشق هلاك، العشق شقاء.

قال: "وقد لا ينجح، ومثال: من يصرف عنان الدابة توجهه إلى باب تريد دخوله، فما أهون منعها بصرف عنانها.

ومثال: ما يعالجه بعد استحكامه مثال من يتركها حتى تدخل الباب وتجاوزه، ثم بها يجرها إلى وراء، وما أعظم التفاوت بين الأمرين.

فلا تتعجل وتريد أن تقف مرة واحدة بالفرامل فتقلب السيارة، وهكذا ينقلبون في أحوال المعاصي.

بهذا نكون انتهينا من كتاب "كسر شهوتي البطن والفرج"، وينتقل بعد هذا إلى آفات اللسان ويتكلم عن كل آفات اللسان، وينتقل منها إلى كتاب "ذم الغضب، والحقد، والحسد" بإذن الله- عز وجل- نستكمل ذلك المرة القادمة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، سبحانك ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.